الميثولوجى في ترجمة معاني [القرآن الكريم]

عند جاك بيرك

د. مصطفى عبد الغنى*

كيف حاول جاك بيرك ترجمة معانى القرآن؟

هذا هو السؤال الذى طرحناه من قبل[٥] فى اطار اوسع واشمل وحاولنا الإجابة عنه فى رصد العلاقة بين القراءة والتفسير ، وهو ما نحاول الإجابة عنه هنا بشكل مغاير .

فإذا كانت الاجابة من قبل تتمهل عند التفسير الأيديولوجى ، وهو نابع – كما نعرف – من علاقة العالم الغربى بالعالم الشرقى ، فإننا ، من جديد ، إعادة طرح السؤال .

والفرضية الأساسية هنا هى أن فهم ترجمة معانى القرآن كما حاولها المستشرق الفرنسى اقترنت (بسوء الفهم الملتبس بالميثولوجيا) إنه التفسير الميثولوجى – عبر تفسيرات اخرى – تفسر لنا صورة الشرق فى نظر الغرب ، وهو ما يعود بنا للبرهنة على هذا التفسير . والتمهل عند عناصر المنهج التى عمل عليها جاك بيرك (الميثولوجى) عبر ثلاثة عناصر :

أولاً : التعريف بالميثولوجى .

ثانيا : تكوين العقل الغربى .

ثالثا : الميثولوجى وترجمة النص .

أولاً : التعريف

نستطيع أن نفرق فى دوائر المعارف والموسوعات بين اصطلاحين : الأسطورة Myth[١] وعلم الأسطورة Mythology [٢] فبينما تشير الأولى إلى الحكاية الخيالية والحكايات الخرافية واحد من اهم مصادر الإلهام فى الأدب والرواية والفن ، فان الأخرى علم الأسطورة تشير إلى (علم) يطلق

---

* كاتب وصحفي وأديب بجريدة الأهرام . عضو العديد من المؤسسات الصحفية . نشر الكثير من الكتب والدراسات التي تهتم بالثقافة العربية في مجال النقد الأدبي والأعمال الفكرية والتراجم .

عليه علم الأساطير .. على أن هذا التفريق بين الأسطورة وعلم الأساطير يعكس لنا – فى السياق الأخير هنا – (حالة) علماء الإنسانيات او كتاباتهم من هذا التأثير او التفسير ، وهو ما سنجده – خاصة– فى ترجمة النص المقدس وهذا يعنى انه إذا كانت الأسطورة تدل فى الفن الإبداعى ويؤثر فيه ، فإن الميثولوجيا تنتمى إلى علم معاصر لا يختلف عن بقية العلوم الإنسانية ويرتبط ارتباطًا وثيقًا مع الكثير من العلوم الاخرى كالانثروبولوجيا والفلكلور وعلم النفس وعلم الاجتماع والابستمولوجيا وغيره ذلك بشريطة أن يظل هذا العلم له خصوصيته ولا يغيب فى هذه العلوم الأخرى وما يهمنا منه الآن أنه العلم الذى نستطيع من خلاله رصد المؤثرات لدى التكوين الإنسانى ، وكيف يؤثر فى طريقة الفهم، ومن ثم ، التكوين بما ينعكس فى اداة التفسير أو التعبير او – تحديدًا– قراءة المعاني لنص بعينه كما نسعى هنا.

وإذن ، ما يهمنا هنا هو التأكيد على ان الوظيفة هى أكثر ما يهمنا داخل المجتمع لفهم الأسطورة فى مفرداتها الأولى ، فهى تفسير عبر تكوينها الاجتماعى وعلى أنها طريقة للتفكير[٣] وطريقة للتكوين الوجدانى للإنسان . وعبورًا فوق تعريفات كثيرة فإننا يمكن أن نتعامل معها على أنها احدى طرق لأنماط التفكير تشكل الأسطورة أو تشكلها الأسطورة حسب رواسبها البعيدة فى الوجدان الإنسانى وقيم المجتمع الاسطورى فى الفترة اليونانية أو اللاتينية فى العقل الغربى ، نرى أنه تأثر بالأساطير اليونانية أكثر من غيرها على أنها احدى أهم الركائز فى العقل الغربى واتخذت اشكالاً كثيرة منذ عصر النهضة مرورًا بتطورات القرن التاسع عشر حتى اليوم .

وثمة ملاحظة لابد من الإشارة إليها هنا سنتوقف عندها أكثر فيما بعد ، إننا لا يمكن أن نفصل بين الميثولوجيا بمعناها الذى ذكرناه والمؤثرات الدينية ، فمن المعروف أن أول الأعمال الأسطورية وجدت على المعابد وفى هياكل الآلهة ، بل يعتقد المتخصصين أن الكثير من الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الدينى منذ بدء الخليقة وهو ما يعنى أن ثمة علاقة أكيدة الآن بين الاعتقاد الاسطورى والدينى فى الغرب بوجه خاص . وهو ما يجعلنا نلاحظ ايضا هذا المزج بين المؤثرات اليونانية واللاتينية وأساطير العهد القديم والعهد الجديد خاصة فى عقل الكاتب أو المثقف الغربى المعاصر .

وهو ما نجده فى ترجمة النص المقدس عند جاك بيرك –على سبيل المثال–

ثانيًا : التكوين

إن البحث عن خطوط الغربى يرينا أنه لا يعكس غير خطوط هذا التكوين منذ فترة مبكرة جدًا من معرفة الغرب للشرق . وهذا التكوين لا يعدو غير هذه الصورة التى تخرج من هذا التكوين وتنتمى إليه .

ومراجعة هذه التراجم التى حاولت أن تنقل معانى القرآن الكريم للغة الغرب سوف نلحظ أن هذا مرهونًا – فى المقام الأول – بالمرجعية الغربية عن الشرق ، وهى مرجعية تتأثر بهذا التصور المعروف تاريخيًا . وهى المرجعية التى تعيد تأثر معانى القرآن الكريم إلى الميثولوجى الذى يرد فى المؤثرات اليونانية ثم التركيز بشكل شديد على التأثر بالعهد القديم والعهد الجديد [٣] .

وهناك كتب وأعمال لا تحصر تركز على هذا التأثير الأخير : اليهودية المسيحية واليونانية ، وسوف نلاحظ أن الميثولوجى اليونانى هنا لم يشير إليه بالقدر الذى اشير معه إلى العهد القديم والعهد الجديد ، ومن هنا ، إذا وضعنا فى الاعتبار غزارة المادة حول هذا التأثر بالميثولوجيا الدينية، فإن الميثولوجيا اليونانية – على اثرها فى تكوين العقل الغربى – لم تنل مثل هذا الاهتمام .

وكي لا نغيب فى محيط الاستشراق ، فسوف نأخذ مثالا تاريخيًا من ترجمة الغرب للقرآن الكريم، وهو ما يلاحظه عبد الرحمن بدوى من أن المستشرقين من امثال (هيرشفيلد –جولدتسهير – وهورفيتز–وتورى) قد قرؤوا القرآن قراءة يهودية ، وأن اخرين امثال (موير –وبيل–وآرنز) قد قرؤوه قراءة مسيحية ، أو يهودية مسيحية ، ويمضى من هذا الاتجاه اصحاب الترجمة اليونانية حين يزعمون أن القرآن اقتبس الكثير من افكاره من الأفكار والتعاليم اليونانية ، والأمثلة التى يقدمها لنا البعض هنا كثيرة [٤]

إن العقل العربى يرى أن القرآن الكريم اخذ عن ارسطو والاسكندر الأكبر وأسطورة سيزيف وأفكار أخرى كثيرة ترددت فى المرجعية اليونانية كالماء والنور والضوء وما إلى ذلك. وإذا كان من المعروف أن القرآن الكريم شهد عددًا من الترجمات التى تعد بآلاف [٥] فمن الصعوبة بمكان أن نحاول رصد كل هذا الحجم والتأويل غير المنصف للقرآن الكريم ، غير أنه من السهل أن نكتشف فى محاولة جاك بيرك لترجمة معانى القرآن الكريم هذه المرجعية للميثولوجية اليونانية وأساطيرها بشكل لافت للنظر . وهو ما يقترب بنا من المرجعية الثقافية لجاك بيرك .

لقد حمل جاك بيرك مرجعيات غربية كثيرة فى العقل الغربى تدخل فيها اساطير الرومان واليونان واللاتين فضلاً عن حكايات التوراة والإنجيل كما اسلفنا ..

والمهم هنا أن جاك بيرك لم يكن ليفسر القرآن الكريم تفسيرًا شوبه سوء النية – كما سنرى– وإنما كان يقع تحت تأثير هذه الثقافة بوعى شديد وليس فقط من التأثير البعيد فى اللاشعور الغربى ، فيعبر تعبيرًا غير موفق ، أو غير مباشر .

ومهما يكن من الأخطاء التى وقع فيها جاك بيرك هنا ، فان المرجعية الثقافية الغربية التى ضمها دراسته أكثر ما تكون وضوحًا كما لاحظ أكثر من متخصص أنه كان فيها تأثرًا بالفكر الإغريقى ومزامير داود واحتوائه على خط أسطورى ميثولوجى لفلسفة تاريخية كوارثية النزعة ..

وما إلى ذلك مما لا نستطيع إنكاره هنا . وهو ما نقترب منه أكثر حين نصل إلى العنصر الميثولوجى فى ترجمته .

ثالثاً :الميثولوجى

ورغم تردد الميثولوجى فى ترجمة جاك بيرك لمعانى القرآن الكريم ، فانه لم يقتصر -كما اسلفنا- على الميثولوجى اليونانى وحده ، وإنما ترددت معه ، وربما قبله العديد من عناصر السرد الميثولوجى فى الاديان السابقة كالعهد القديم والجديد أو الاساطير القديمة اللاتينية ، غير أن ترديد الميثولوجى اليونانى يدل دلالة قاطعة على مرجعية دالة فى العقل الغربى .

كما أنها على خطورتها لم تتردد او تلفت النظر بقدر كاف على غرار التأثر اللاهوتى. وهى مرجعية لا تعكس وعى المستشرقين فقط ، وإنما توجه إلى نفس الأفراد من ذوى الخلفية المشتركة مع المستشرقين هؤلاء ، ومن ثم ، فان التأكيد على (الخطاب الميثولوجى) فى حالتنا ينبئ بخطر كبير ودلالة حادة وهى مرجعية لا نستطيع أن نراها بريئة فقط ، وإنما يكن بشكل لا شعورى ، موقف الغرب بوجه خاص من الشرق ، وهو وعى جمعى غربى فى السياق الاخير .

كما أنه وعى لا يعود إلى (التراث المهنى) وحسب -فى تعبير ادوارد سعيد- وإنما إلى التراث المرجعى فى العقلية الغربية حيث يبدو الاستشراق شاحبًا فى تصوراته المتعمدة الاساءة إلى النص العربى ، وأن يكن مؤكدًا فى الحضور العام فى التعبير عن وعى الذات .

ربما طور جاك بيرك منهجه ، وتميزت لغته بشيء كبير من الجمالية والرقى . وربما أعلن هنا وهناك أنه ابن الضفتين (الجنوبية والشمالية للبحر المتوسط كناية عن انتمائه إلينا ايضًا غير أن وعى الذات المنهجى كان أكثر تعبيرًا عن (ماهية) التعبير عن لا شعور الباحث).

وغزارة الميثولوجى الدينى والوثنى القديم كان من بين ما دفع بعديد من المثقفين والهيئات الدينية للهجوم بعنف على جاك بيرك ، وهو ما نجده على سبيل المثال فى (تقرير) مجمع البحوث الاسلامية .

وعلى أية حال ، فإن جاك بيرك يبدو واضحًا اشد الوضوح فى تلمس الميثولوجى اليونانى عبر كتابات كثيرة له . وسوف نتوقف هنا عند ثلاث منها فيما يتعلق بالنص الذى حاول أن يترجم به معانى القرآن الكريم وبما اثاره فى تسعينات القرن الماضى وردرد افعاله ازاء ما وجه به .. وهى على النحو التالى :

- ترجمة معانى النص القرآنى Le Coran [٦]
- الدراسة فى نهاية النص بعنوان En relisant Le Coran
- عدة محاضرات القاها بعنوان Relire Le Coran [٧]

وسوف نعرض لبعض عناصر الميثولوجى على النحو التالى :

-أ-

إن أول ما يلفت منذ أول النص (وهو ما يتردد فى بقية النص) هو استخدام اسم (الله) بهذه اللفظة Dieu.

فنحن منذ سورة الفاتحة نقرأ بداية البسملة بهذا الشكل Au noum de Dieu وتتكرر على اعتبار انها تمثل الفاتحة فى أى سورة (عدا سورة التوبة) ، وهى ترجمة غير دالة بشكل دقيق بما «تفقد معنى الوحدانية الذى يتضمنه اسم "الله" فضلاً عن المضمون الوثنى الأصلى لهذا الاسم Dieu المشتق من زيوس إله جبل الأولمب» [٨] ؛ فالاساطير اليونانية القديمة تقدم لنا أن زيوس – بالمعنى الوثنى– فهو كان يشرف على مجالس الآلهة وهو يتأثر احيانًا بآرائهم .. وله رموز خيالية فى العصور القديمة ، بل أن اسمه تطور عند الرومان – فيما بعد – إلى جوبيتر . والمصادر والمراجع الغربية القديمة مليئة بكثير من التوهمات والخيالات التى تخرج من اطار جوهر الوحدانية فى الإسلام.

وكان يمكن – مع تمكن جاك بيرك من معرفة اللغة العربية وضروراتها كما يردد – ان يستبدل باسم Dieu بما يبعد عن اسم الله – عز وجل– هذه المعانى الوثنية المغرقة فى توهماتها القديمة ، أى كان يمكن أن يستبدل بالسم ثم يضاف إليه تعريف فى الهامش ، كان يمكن أن يستبدل بهذا المعنى بسم الله نفس المعنى لا اشتقاقًا غير دقيق منه ، كان يمكن أن يستبدل بعبارة : Au nom de Dieu عبارة اخرى هى :Au nom de, Allah وهو ما يمنح المعنى تصويبًا لازمًا ، خاصة إذا كان يتعلق بالنص القرآنى .

-ب-

كان جاك بيرك بين الربط بين النص القرآنى والشعر الجاهلى القديم ، وهى قضية لها تخريجات وبحوث كثيرة فى الأدب العربى وان يكن من الناحية الفنية ، غير أن الجديد ، ان ربطه معانى القرآن بالنص هنا ليصل منه إلى دلالة العلاقة بين الاثنين ، إنه يقول من فقرة طويلة ننقل بعضها هنا الآتي :

« يمكن أن نحلم بما كان يمكن لهذه الاحساسات القوية ، والمتوارثة دون شك ، أن تقدمه لشعر النابغة او قيس بن الخطيم ، ولم يفق القرآن من الشعر القديم غنائيته ولا لونه بل ولا حتى اوزانه احيانًا . وبوسائل اكثر بساطة فى الظاهر ، فانه (أى القرآن) يذهب أكثر من هؤلاء المنشدين فى فهم الطبيعة والحياة ، وهكذا يذكرنا (يقصد النبى (ص)) بشأن هذه النقطة شعراء ما قبل سقراط، فإنه يضفى على الحمم المضطرمة فى عالم المحسوسات معنى يسمو بها » [٩]

إنه يعود ليربط بين الشعر الغنائى القديم والنص القرآنى ، ثم يربط بين شعر الطبيعة والحياة والغنائى ليصل من هذا كله إلى نتيجة مؤداها أن القرآن اشبه بنظم الشعر الغنائى الذى هو اشبه

بالشعر الاغريقى . إنها العلاقة بين الشعر الجاهلى القديم ، والشعر الحديث والغنائى ثم شعر الطبيعة والشعر الاغريقى حيث يتحدد –عند بيرك – العلاقة الوثيقة بينها وبين الشعر الاغريقى

الشعر القديم + الغنائية = شعر الطبيعة ---------

+

شعر الطبيعة + الغنائية = الشعر الاغريقى-------

=

فإن شعر الطبيعة + الشعر الاغريقى = النص القرآنى

وسواء ربط بين الشعر الجاهلى والنص القرآنى أو الشعر الحديث والنص القرآنى ، فإنه يصل – في السياق الأخير– إلى أن هذا النص لا يزيد على كونه شعرًا .

إنه كما كتب بالحرف الواحد «يقيم الطبيعة دليلاً، وما هو كونى برهانًا، وذلك دون أن تنضب قوتها» (١٠)

بيد أنه فى الفترة التالية مباشرة يضيف هذه الفقرة امعانًا فى استخدام الميثولوجى وتأكيدًا لها لديه ، نقرأ هذا النص :(وعلى هذا النحو ، ولعدة مرات ، يذكرنا بمتتابعاته بشعر بارمنيدس)

(Aussi Plusieurs de ses sequences rappelient-elles Le Poeme de Parmeneide..)

ومن النص الذي يذكره جاك بيرك لبارمنيدس الاغريقى يذهب تقرير مجمع البحوث فى كثير من ملاحظات اللجنة المختصة إلى اتهام جاك بيرك –إنه قام بتشبيه القرآن الكريم بشعر بارمنيدس الشاعر اليزناتى وأن الرسول (ص) قد استوحى منه سورة الاخلاص «وهو ما نجده فى كثير من هذه الترجمة حيث يربط بين سورة النحل وعالم الفيلسوف الاغريقى Parmenide ويبدو أن هذا لا يخلو من صواب ».

-ج-

ومن دلالة استخدام اللفظة وعلاقتها بالشعر الاغريقى فى النص يهدف إلى توظيف الفعل فى لوحة يسميها (مجازفات فى نظام الافعال) . إن المقدرة اللغزية فى النص المقدس تعتمد على نظام الافعال الذى يتلاءم مع سمو القدرة الالهية وحيث "يتلاشى التعارض الذى نميز به بين الماضى والحاضر والمستقبل (يقول للشىء كن فيكون) وايضًا (وكان امر الله مقدورًا ..).

وهو ما يصل منه جاك بيرك إلى أن ما يعترى قيم الافعال سيكون تنوع الملامح والصيغ أكثر منه تخرج الزمن. ويمكن أن نجد لهذا التنوع اسبابًا اخرى ، وهنا يضرب جاك بيرك مثالاً دالا يحدد تصريف الفعل فى العربية من حيث علاقته – كما يؤكد – باللغة اليونانية أو أكثر قربًا منه أو شبهًا عنه ، فيقول : «مثل ذلك أن نوجه تصريف الفعل فى اللغة العربية أكثر شبهًا به فى اللغة اليونانية منه فى اللغة اللاتينية» (١١)

وإذا عبرنا التعارض بين الأزمنة وتصريف الأفعال نكون قد وصلنا إلى صيغة أخرى هى صيغة المبنى للمجهول وهذه المجازفات تصعد من النعت إلى تصاريف الأفعال إلى حركة تصريف الفعل فى العربية .. إلى غير ذلك ، هو ما يبدو منه أنه يعيد أغلب هذه الافعال – كما يؤكد- على استخدام (المجازفات فى نظام الأفعال) Aventures du scheme verbal . إن أهم هذه المجازفات -لديه- هو ربط تصاريف الأفعال العربية باليونانية مما يخلق هذه الميثولوجيا فى الرؤية هنا وهو ما يقترب بنا أكثر إلى خطوط افقية اخرى مَنَ الميثولوجيا .

-د-

والاقتراب من الميثولوجى بالمعنى العام إليه أكثر فى لوحة يطلق عليها (تنسيقات قرآنية) حيث يسلك طريقًا عكسيًا -كما يشير- بعيدًا عن المظهر اللغوى ، وحيث يستخدم مناهج غربية خالصة فى تفسير معانى النص القرآنى فهو يشير تحديدًا إلى (تعريفات قاموس نظرية الرموز والعلامات) لجريماس ، ومن هنا ، فهو يجاوز ما سبق وإن اشرنا إليه – سلفًا- من التفسير أو المقارنة عبر المجازى من الشواهد الطبيعية وخلق الإنسان أو الاسقاطات (الأخروية) إلى تواصل ثالث ملازم لهما.

إن هذا التواصل حول مصير الأفراد والمجتمعات – كما يحدده هو يعنى « أن هذا المصير الأسطورى خرافى من ناحية وهو ما يتضمن من ناحية اخرى فلسفة كارثية للتاريخ» :

Legendaire et mythologique par une face , elle implique par lauter »
« une philosophie catastrophie de L histoire [١٢]

وهذا يعنى لديه أن الحالتين بما يحملان هما خطأ مريع يتمثل فى اثنين :

- إما فى الرفض الذى تقابل به دعوة الله .
- وإما فى الوقت نفسه الذى يفسر وقوع الكارثة .

وأهم ما يلاحظ هنا أن المترجم يربط بشكل ميثولوجى خالص بين الدينى والأسطورى (الخرافى) بشيء من القسوة والتجاوز الذى لا يتمشى مع حكمة النص الدينى .

وبعيدًا عن الاسهاب فى ذلك نستطيع أن نتوقف عند العديد من اللوحات الميثولوجية الخالصة التى تضيف إلى الأساطير الخرافية (اليونانية واللاتينية) الأساطير الكتابية (الأساطير التوراتية والإنجيلية) فضلاً عن السعى إلى تحويل كل هذه الاساطير إلى رؤية تترجم (خطاب) المترجم لكن عبر (حوارات تحمل طابع علم النفس التفاضلى والإثارة وتتوخى النبرة أن تكون حكائية ومأساوية "درامية" ..) إلى غير ذلك وهو ما يصل بنا إلى ملاحظة تالية .

-٨-

وهو ما لا يستطيع الخلاص منه قبل أن نتمهل قليلاً عند اللوحة الاخيرة (نظرة شاملة) لنشير إلى هذه التوازيات أو بشكل أدق المقابلات بين الخيارات التى يقدمها المترجم لنصل منها إلى أهم ما يريده . وهذه التقابلات تشير – فى عسف – إلى محاولة تخريج ما يريده بهذا المنحى الميثولوجى بين الدينى والاسطورى عبر اطرافها ، ان انبثاق الوحى La revelation eclata فى شبه الجزيرة العربية يقابله – عند جاك بيرك – انطلاقة L,essor الفكر الايونى ، بيد أن هذا كله فى وقت (كان عصر الأسطورة يخلى مكانه لعصر التاريخ) [١٣] وهنا يلفت نظرنا ما يكتب في الهامش لتأكيد هذه المقارنة والدهشة الدالة لها فى وقت واحد (إن لبونجر عبر عن هذه الفكرة بصدد هيراقليطس "ارتن هيدير فى كراسات ديلهون ، باريس ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ " وسيثير الدهشة التقارب الزمنى العجيب بين حملة ابرهه فى شبه الجزيرة العربية ونتيجتها الأسطورية وبين الأحداث العسكرية والسياسية من نوع آخر تمامًا والتى بدأت حتى قبل وفاة النبى (ص) ..)

والمترجم لا يهتم كثيرًا باعتبار النص فى مكانة او مرتبة _أعلى للغاية من حكمة ما قبل سقراط وأن كل ما يعنيه يظل ليس قياس درجة الايمان أو – حتى – المقابلة بين الخيارات ، ولكن ليحصل على لقاء نموذجى دال ، وهذا اللقاء عبر عنه بأن الفكر الإغريقى قد بدأ ايضًا بإعلان التنوير الاول بواسطة الكائن«الذى يبين» signe (qui fai) ؛ وكما سيقال ، فقد تبع ذلك فى الحالتين ما يشبه الردة : فالكائن عند الاغريق توارى وراء الحادث . والله – وفقًا للقرآن – قد وصل بالكشف عن نفسه إلى درجة الأمر الأخلاقى والتوجيه الاجتماعى يفلت من الإدراك الإنسانى : وقد احاط الجبل حيث استشاط غضبًا إلى رماد ..

لاحظ هنا استعارته من النص القرآنى فى عقد التقابلات ، وهو فى هذا يتابع امثلة اخرى لتأكيد الميثولوجى الذى يدلل به لصالح الغيبى أو الخرافى فى مواجهة الدينى أو الايمانى ، إنه إلى مثال آخر حيث يرى أن الدور اللاحق لعلم الكلام الاسلامى يمكن أن يتطابق ، والحالة هذه ، ويتساوى فى كل الاشياء من ناحية اخرى ، مع دور علم الغيبيات (ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا) الافلاطونى ، وقد كان ذلك كلامًا غير مباشر خاضعًا لفكرة ثنائية التفرع ، اما فى حالة الإسلام فانه (أى علم الكلام) يبتعد من الكائن بقدر ما أن النص الذى يجاهد (أى علم الكلام لاستخلاص موضوع منه ، لم يمهد فقط بطريقة أكثر منها تعمقًا لتطورات تصورية صدارة من قلب البلاغ ، ولكنه (أى النص) اطلق دعوة غير مباشرة للتواؤم مع الواقع . وهو نتيجة يخرج منها إلى غيرها .

-٩-

وخروجًا من هذه التقابلات ، فإنه يعرج إلى عديد من الإشارات الإيجابية فى الإسلام وهى إشارات لا تخلو من المنحى الميثولوجى ايضًا ، إنه يرى ثمة نزوعًا عقليًا يجب الاقرار به ينبغى

(اكماله باكمال الدعوة إلى اشارات القلب) ليصل من هذا كله إلى قضية الحداثة فى مقابلة اخيرة والفكر الاغريقى .

لقد وجدت الحداثة الدينية طريقها إلى الإسلام من ناحية (المذهب الطبيعى) وشرعت فى إعادة بنائها الذاتى ضاربًا المثل بجهود واجتهادات اقبال وأبو الكلام ازاده والدكتور كمال حسين والشيخ نديم الجسر وكثيرين غيرهم كما نرى من قراءات بيرك المتنوعة المعاصرة .

وهو تطور شرقى خاص بنا يغاير – دون شك – التطور الغربى الدينى على الأقل فى إطار الحداثة التى يتمهل عندها على أنه فى حين يشير بايجابية إلى هذا التبويب الدينى ، لا يلبث أن يعود إلى سياق تاريخى آخر ليربط بين الدينى والإغريقى من جديد ، يضيف هذه العبارة التى يهمنا اثباتها هنا لأهميتها في الدلالة ، يقول بيرك بعد أن يشير إلى أن الحداثة بعثت فى شكل بديهية قرآنية ، وبعد السؤال بالجواب فى عبارته :

« .. ومع ذلك الم يكن ذلك هو ما فعله الإسلام منذ البداية ؟ لقد فعله بأن تبنى لحسابه جزءًا من التقاليد الجاهلية ثم بأن استوعب جانبًا من التراث الإغريقى بعد أن فرض على هذا وذاك تصويبات صادرة عن استعلائية صارمة »[١٤]

ليدخل بنا بعد ذلك حول المدى الذى يستطيع به – بين الدانات الابراهامية – اخضاع الأصول التاريخية للدينى عبر النقد التاريخى – والمنهج الغربى منا صوره واستفاد هو به – إلى الحياة الحديث . وهو جدل لا يهمنا هنا فى المقام الأول ، اللهم إلا بقدر أن نعد الحضارة الغربية فى حقبة معينة أحد أهم عناصر العقل الغربى . ومن ثم ، فإن النقد الخلاق يجب أن يوجه هنا لا للإسلام ونصه الأساسى كما يحاول ، وإنما إلى أصحاب الحضارة الغربية .

ورغم أن هذه الدراسة التى بين ايدينا تفيض اكثر بهذه الميثولوجيا ، وهو ما تؤكده محاضراته التى القاها فيما بعد ، فإننا نكتفي بهذا القدر ونحيل القارىء إلى الفصول الاخيرة – بوجه خاص – فى هذه الدراسة التى الحقها بنص الترجمة .

وإذا كنا قد حاولنا هنا أن نجيب عن الفرضية/السؤال الذى طرحناه هنا وهو : كيف حاول جاك بيرك ترجمة القرآن ؟

وإذا كنا قد حاولنا الإجابة عن هذا السؤال عبر محورى التفسير والميثولوجى ، فقد بقى أن نحاول الإجابة عن نفس السؤال ولكن عبر سؤال ثالث ، وهو : دراسة مقارنة بين الأنا والآخر ؟

وهى دراسة لن تكون فى صالحنا بالقطع فى هذا العصر ، خاصة وهو عصر ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، حيث تحددت (الاستراتيجية) الغربية (الإمبريالية) فى محاولة للنيل من العقيدة الإسلامية من منطلق سياسى فى المقام الأول ..

الهوامش

(*) سبق وأن طرحنا هذا السؤال فى الملتقى الدولى بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران حول (الدراسات الاستشراقية: الخطاب والقراءة) وذلك فى الفترة بين ٢٣-٢٥ ابريل ٢٠٠٠ .

(١) انظر على سبيل المثال : مادة اسطورة فى موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثانى ، منشورات عويدات – بيروت – باريس تعريب خليل احمد خليل ، ط ١ ، ١٩٩٦ ص ص ٨٥٠-٨٥١ .

(٢) انظر ، ايضًا على سبيل المثال : مخزعل الماجد : بخور الآلهة ، الزهار للنشر – بيروت ١٩٨٠ ص ٦٥

عبد الحميد يونس ، معجم الفلكلور ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ص ٣٣-٣٥

(وقد يكون من المهم أن نسير إلى مصطلح الميثولوجيا هنا (علم الأساطير) حيث يتكون المصطلح من مقطعين : الأول هو ميث Myth وهو مشتق من الجذر اليونانى Muthas ويعنى قصة أو حكاية ، أو من الجذر Mythos ويعنى قصة غير واقعية ، والثانى هو Logy ويعنى العلم أو الدراسة العلمية . وهو مشتق من الجذر Logos الذى كان يشير فى الفلسفة إلى المبدأ العقلى . وهو ما يصل بنا إلى أن الميثولوجيا هى الدراسات العلمية للأساطير وفحصها وفق القواعد العلمية المتبعة ، وفى حالتنا ، فهى تعكس الوعى الخاص لدى هذا الكاتب أو ذاك فى مدى تأثره فى الميثولوجيا القديمة)

(٣) Encyclopaedia Americana , pp.٧٠٢-٧٠٣

(جاء فى الأسطورة عند اليونان ما يمكن أن يفيدنا هنا بشكل غير مباشر ، فهذه الأسطورة تعكس التأثير فى المنطق العقلى الذى اشتهروا به تفسيرهم للأشياء ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن كبار فلاسفة اليونان استخدموها فى كتاباتهم ، افلاطون – على سبيل المثال – استخدم الأسطورة مجازيًا فى بعض كتبه من الجمهورية لتتضح المعانى الخفية لنصه ، كما أن ارسطو رغم معارضته الشديدة للأسطورة يعد أكثر من افلاطون ، إلا أنه رأى أن الاساطير الكونية الأولى تخلط مع المنطق) .

وهو ما يشير فى التحليل الاخير للوظيفة التى يمكن أن تحملها الأسطورة فى العصر اليونانى ، وما تمخض عنه من علم الاسطورة من حيث التكوينات العقلية التى ربطت بين الأساطير أو الرواسب الأسطورية والمنطق فى تأليفة (عقلية) لا يمكن اغفالها بأية حال ، خاصة، أن هذا الفهم كان يتم فى فترة مبكرة من تاريخ البشرية وفى عصر اليونان بوجه خاص .

(**) إن الكتب والمراجع التى تشير إلى شبهات المستشرقين واهتماماتهم حول القرآن الكريم بالعهد القديم والعهد الجديد من الكثرة بحيث تكاد لا تحصى ، ومن الصعب أن نجد مرجعًا من عدة قرون حول ترجمة معانى القرآن الكريم أو السنة النبوية أو التاريخ الإسلامى دون أن نجد منذ هذه الشبهات بصفاقة منقطعة النظير ، ومن هنا ، فمن المستحيل أن نحاول هنا رصد (كل هذه الكتابات أو رصدها بأية حال) .

(٤) د. عبد الرحمن بدوى ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، الدار العلمية للكتب والنشر ، نافذة على الغرب (٣) بدون تاريخ ، انظر صفحات ١٠١-٢٠١-١٠٣ وقد رتب د. بدوى بعض هذه الافكار على النحو التالى :

لقد اقتبس القرآن كثيرًا من الافكار والتعاليم أهمها :

(٥) يرى البعض أن ترجمات القرآن الكريم تصل تقريبًا إلى ٢٧٨٧ ترجمة للغات العالم المختلفة. اقدمها النسخة اللاتينية التى تمت فى طليطلة منذ قرون .. و .. وأن اللغة الفرنسية من اوفر اللغات حظًا من الترجمات (انظر على سبيل المثال مجلة "فصول" ، جمعية فصول الثقافية ، العدد الرابع فبراير ١٩٩٩ باريس ص ٤٢)

كما أن اللغة الالمانية شهدت ترجمات كثيرة للقرآن بدت فيها العلاقة بين القرآن الكريم والثقافة اليونانية تصل إلى درجة بعيدة ، وعلى سبيل المثال : هناك من اعمال هانس خاينرش شيدر (١٨٩٦-١٩٥٨) ، الشرق والتراث الإغريقى ، ومن أعمال رودى بارت (الإسلام والثقافة الإغريقية ١٩٥٠ ، وبقلم هانس لـ . جوتشالك ١٩٠٤ الإسلام والمسيحية الهيللينية ١٩٥١ .. وفرنتس روزنتال ١٩١٤ بقاء الثقافة الاغريقية فى الإسلام (المجلد الثانى من مكتبة الشرق ١٩٦٥) .

ورودى بارت فى هذا السياق دراسات اخرى منها دراسة يورج كريمر الأصل العربى لكتاب : التفاحة Liber de pomo المنسوب إلى ارسطو (١٩٥٦) ثم ابيات هوميرية فى العربية ١٩٥٦ ثم دراسة مانفريد اولمن ١٩٣١ الرواية العربية لما يسمى ميناندر ١٩٦١ . ويشير الكاتب الألمانى ان بيتر باخمن ينوى (كان هذا فى عام ١٩٣٦) التخصص فى العلاقات الثقافية الاغريقية العربية ببحوث علمية ينشأها فى هذا

الميدان .. وغيره فى هذا الصدد (انظر ايضًا : الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية – المستشرقون الالمان منذ تيودور نولدكة ، والكتاب تأليف رودى بارت ، ومن ترجمة د. مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ ، ص ٨٥ .

(٦) نشرت الترجمة الكاملة لمعانى القرآن الكريم تحت عنوان

Essai de traduction de L arabe annote et suivi d une etude exegetique par Jaques Berque , Sindbad , Paris ١٩٩٠

:

(وقد بدأت الدراسة – المقدمة – وقد عمد أن يضعها صاحبها فى نهاية الكتاب من ص ٧١١)

(٧) **Editions Albin Michel S.A , Paris ١٩٩٣**

(وقد طبعت هذه الترجمة عقب الثورة كثير من الكتاب والمثقفين لهذه الترجمة النص القرآنى ، وقد ترجمت هذه المحاضرات التى القيت بمعهد العالم العربى إلى العربية لاكثر من مرة ولكن باسلوب ركيك بمصر أو غامض وصعب الفهم فى بيروت وحلب)

(٨) فصول ، السابق ص٥٠

(٩) **Le coran , B , Jacques Ibid p. ٧٨٤**

(١٠) **Ibid , p. ٧٨٤**

(١١) **Ibid**

(١٢) **Par exemple , L orientation de La conjugaison arabe, plus ressemblante a celle du grec qu , celle du Latin ..) (Ibid ٧٤٥)**

(١٣) **Ibid , ٦١-٦٢**

(من المهم أن نؤكد هنا على أن المناهج الغربية التى تستخدم هنا – فى اطار الميثولوجى – من التردد بحيث أننا لا نستطيع تجاهلها ، بما يمكن أن نقوله معه أننا لا يمكن أن نقوم بعملية الرصد للميثولوجى بغير درس للمناهج الغربية فى المقام الأول ، وهو ما يمثل مع غيره أهم عناصر العقل الغربى المعاصر الآن إذا اضيف اليد العقيدة المسيحية واليهودية – فضلاً – كما اشرنا – إلى الموقف المسبق من الشرق، وفى هذه الصفحة من النص الفرنسى اشارة وافية إلى احد اصحاب هذه المناهج فى المناهج فى الهامش بما يؤكد هذا ، ص ٧٨)

(١٤) تستطيع لاكمال دائرة الميثولوجى هنا ، يمكن العود إلى اللوحات الاخيرة فى هذه الدراسة ، وبوجه اخص فى اللوحة الاخيرة : **vue d,ensemble , p.٧٩٠**